ليس أمراً طبيعياً، أو مقبولاً، أن تترتب على كل عملية عسكرية اعتقالات لا تقتصر على منفذ العملية أو منفذيها، بل تشمل كل من لهم علاقة بهم.

على هذا الصعيد، هناك نقص كبير في أشكال العمل العسكري وتقنيته، في دقته وانتظامه وإيلائه الاهتمام الرئيسي، حتى لا يؤدي أي عمل عسكري ناجح إلى انتكاسة في المزاج الجماهيري.

أبو علي مصطفى: إذا ما وقفنا أمام مراجعة رقمية لجدول يبيّن حجم العمليات العسكرية داخل الأراضي المحتلة في السنوات الثلاث الأولى، وقارناها بجدول السنوات الخمس الأخيرة، سنجد أن هناك هبوطاً في حجم العمليات العسكرية. لكن هذا لا يكفي وحده لأن يشكل مقياساً لمستوى تطور العمل العسكري، بما يتناسب مع مستوى المكاسب السياسية التي حققتها الثورة الفلسطينية، على الصعيدين العربي والعالمي. وإذا ما جرى التمعن والتدقيق في الموضوع، فلا بد من أن نشير، على هذا الصعيد، إلى أهمية العامل الموضوعي في التأثير على مدى الفعالية العسكرية. ويتمثل هذا العامل في أكثر من سبب مؤثر.

السبب الأول هو أن انتكاسة المقاومة في الاردن أثرت، إلى حد كبير، على مستوى النشاطات العسكرية، سواء من حيث عدد المواجهات القتالية المباشرة مع قوات العدو الصهيوني، أم من حيث مستوى تدعيم الوحدات والخلايا والتنظيمات داخل الأراضي المحتلة، عن طريق الامتداد الجغرافي الطويل الذي كان متاحاً أمام قوات الثورة الفلسطينية.

وسبب آخر، يعود إلى أننا، في الثورة الفلسطينية، ومنذ ست سنوات، نخوض معركة الدفاع عن الثورة في لبنان. دون أن يعني ذلك تقليلاً من قيمة هذه المهمة، لأن الدفاع عن الثورة الفلسطينية وعن بقائها، هو أيضاً مهمة استراتيجية لا نستطيع أن نستغني عنها.

يضاف إلى ذلك كله، ما بات معروفاً من حواجز تعيق إمكانية الوصول إلى الأرض المحتلة، حتى بما ابتدعته الثورة الفلسطينية من أعمال نوعية من نمط معين في فترة من الفترات، ومن أعمال انتحارية ذات معنى سياسي.

ولكن ينبغي أن نلاحظ الأمر الذي أشار إليه الرفيق ياسر حول بدء تحول العمل العسكري إلى نشاط جماهيري. إننا، في مقابل صعود في وتيرة المواجهات العسكرية وكثافتها وزخمها. في قطاع غزة مثلاً، نلحظ ان هذا الزخم العسكري والسياسي كان يفتقد إلى العمق الذي أشير إليه، بمعنى أن يتحول إلى حالة جماهيرية شاملة. على سبيل المثال، نحن في الجبهة الشعبية قيمنا دورنا العسكري، في فترة من الفترات، حتى في وقفتنا في مؤتمرنا الأخير أمام التقرير العسكري الذي قدم معتبرين أننا حققنا تجربة ناجحة في قطاع غزة وفي جبال الخليل. كان هناك تقييم عالٍ للمستوى العسكري، لكنه كان يفتقد إلى العمق التنظيمي، بمعنى تأسيس بناء تنظيمي يحيط به، حتى يشكل رافداً وسنداً لاستمراريته، وخلق مد جماهيري حوله بحيث لا يكون معزولاً، أو تقتصر مشاركة الجماهير فيه على موقف المتفرج.